مُوْهِم الاختلاف والتناقض
في
القرآن الكريم

دراسة موضوعية

الأستاذ الدكتور

أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري

عميد كلية الدراسات الإسلامية بأسوان

مقدمة .....

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ... ومن يضلل فلا هادى له ٠

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ..وبعد :

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين والذكرُ الحكيم ، والصراطُ المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنةُ.وهو خير ما صُرفت له الجهود ، واشْتُغل به تعليماً، وتفسيراً ، وفهماً ، ودراسة ، واستنباطاً . ولا يمكن فهمه وتدبره بعيداً عن علومه التي تعتبر مفاتيح لما استُغْلق من فهمه ، وخفي من معانيه ٠ومن هذه العلوم :

(معرفة مُوْهِم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم)

وهو علم شيق ولطيف، وهام ومفيد ؛ لأن المسلم يزداد بمعرفته إيماناً ويقيناً حين يرى التوافق بين آيات القرآن ، والتعاضد والترابط بين معانيه، فلا اختلاف ولا تناقض، ولا تباعد ولا تدافع بين معانيه وتعاليمه ودلالاته٠وهو موضوع مترامي الأطراف ، واستيعابُ جميعِ أطرافه ، والإحاطةُ بكل ما يتعلق به من آيات القرآن الكريم موهمة الاختلاف والتعارض في هذا البحث من الصعوبة بمكان .

ومن ثَّم .. سيكون تناولي لهذا الموضوع محاولة لوضع قواعد عامة ، ورسم منهج صحيح يكون نبراساً للباحث عن معانى آيات القرآن ، يضىء له طريق فهم النصوص وإزالة ما يوهم ظاهرها من تناقض أواختلاف ٠

وأسأل الله تعالى أن يسدد قلمي ، ويلهمني رشدي ، ويوفقني إلى خدمة كتابه الكريم ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصل اللهم على البشير النذير

أ.د/ أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري

رئيس قسم التفسير وعميد كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان .

تمهيد
القرآن الكريم لااختلاف فيه ولاتناقض

من الحقائق الثابتة أن القرآن الكريم لا اختلاف فيه ولا تناقض ، لا بين نصوصه بعضها مع بعض ، ولا بين نصوصه والواقع ، ومن الواقع الحقائق العلمية . [١]

وإذا كان ذلك كذلك .. توَّجب على المتدبر لكتاب الله أن يتفكر ويتأمل فيما يبدو له من اختلاف أو تناقض في القرآن الكريم ، بالنظر في سياق النص سوابقه ولواحقه ، ليفهم كل معنى ضمن حدوده التي تخرجه عما قد يبدو لذي النظر السطحي من اختلاف أو تناقض ، وتنظمه في إطار موضوع متكامل .

- فمن الحقائق الثابتة في القرآن المجيد تكامل المعاني يتتم بعضه بعضاً ولا ينقض بعضه بعضاً.
- ومن الحقائق الثابتة أن القرآن العزيز حق لا ريب فيه، فلا يمكن أن يختلف مع الواقع في شيء. كما قال الله تعالى في سورة النساء :

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾آية: ٨٢

أي : لوجدوا فيه اختلافاً عن الحق والواقع ، واختلافاً وتناقض في دلالاته.

وقد سئل الإمام الغزالي عن معنى هذه الآية فأجاب بما صورته:

" الاختلاف لفظ مشترك بين معان ، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه ،بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن ، يقال: هذا كلام مختلف أي : لا يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا ..

أو هو مختلف النظم ، بعضه على وزن الشعر ، وبعضه مُترحِف[١]على أسلوب مخصوص في الجزالة ، وكلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات ، فإنه على منهج

---

(١) فلا تجد هناك تناقضاً بين القرآن والحقائق العلمية الثابتة بالوسائل التجريبية . وتُبْرِزُ هذا الجانب بوضوح الكتب المصنفة في " الإعجاز العلمي للقرآن الكريم "

واحد في النظم ، مناسب أوله آخره وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة ، فليس يشتمل على الغث والثمين ، ومَسُوق" لمعنى واحد ، وهو دعـــوة الخلـــق إلى الله تعالى وصرفُهم عن الدنيا إلى الدين .

وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات ، إذ كلام الشعراء والمتراســـلين إذا قيس عليه وُجد فيه اختلاف في منهاج النظم ، ثم اختلاف في درجات الفصاحة بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والثمين فـــلا تتســـاوى رســـالتان ولا قصيدتان بل تشمل قصيدة على أبيات فصيحة ، وأبيات سخيفة ، وكذلك تشتمل القصائد والإشعار على أغراض مختلفة ، لأن الشعراء والفصـــحاء ﴿في كـــل واد يهيمون﴾ الشعراء: ٢٢٥

فتارة يمدحون الدنيا ، وتارة يذمونها ، وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حَزْمـــاً ، وتارة يذمونه ويسمونه ضعفاً ، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صرامة ، وتـــارة يذمونها ويسمونها قهوراً ، ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات ، لأن منشـــأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض ، واختلاف الأحوال .

والإنسان تختلف أحواله ، فتساعده الفصاحة عند إنبساط الطبـــع وفرحـــه ، ويتعذر عليه عند الانقباض ، ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ، ويميل عنه أخرى ، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافاً في كلامه بالضرورة .

فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة . وهى مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ، وعلى منهج واحد ، ولقد كان رسول اللهﷺ بشـــراً تختلـــف أحواله ، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوُجِد فيه اخـــتلاف كـــثير،

=

(١) الزحاف: (عند العروضيين) : تغير يلحق ثاني السبب الخفيف أو الثقيل

فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء الناس، لا في نفس القرآن. وكيف يكون هذا المراد . وقد قال تعالى: ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ﴾ البقرة: ٢٦

فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف، وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الآيات خلفاً (١) ، وهى أشد أنواع الاختلاف ، والله أعلم (٢)٠

فكل ما يقال من تخالف أو تناقض أو تضاد في النصوص القرآنية فهو وهم فاسد ، أو إدعاء كاذب ، وأساس الوهم الفاسد فهم خاطئ ، وأساس الإدعاء الكاذب مغالطة" مقصودة . حيث إن اختلاف النصوص يرجع إلى تكاملها وإعطاءِ كلِ منها معنى ونكتةٌ من الموضوع العام الذي تتحدث عنه وتعالجه بالبيان .

وعمل المتدبر لكلام الله يتم بأن يضع معنى كل آية وكل جملة في الموضع الملائم لها ، وعلى مقدار نسبته من ساحة المعاني فلا يعمم تعميماً زائداً عن المراد ، ولا يخصص تخصيصاً زائداً عن المراد ، ولكن يجمع ما اختلف من النصوص حول موضوع واحد ، ويؤلف بينهما تأليفاً تاماً يتكامل به الموضوع .

وقد ثبت فى السنة المشرفة أن الصحابة -رضى الله عنهم- لما نزل قول الله تعالى : " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" [الأنعام :٨٢] شق ذلك عليهم وقالوا : يارسول الله ، فأينا لم يظلم نفسه ؟ .

فقال : إنه ليس الذى تعنون ! ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح لابنه :

---

(١) الخَلْفُ: الرديء من القول : وفي المثل " سكت ألفاً ونطق خَلْفاً " : يضرب

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشى (٢/ ١٧٧ - ١٧٨)٠

﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] . إنما هو الشرك "[١] .

فقد توهم الصحابة أن المراد بالظلم عمومه ، وهذا هو الظاهر من سياق الآية ، إلا أنه خصص بقول النبى ﷺ إنه الشرك .

وعن حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ :

" إنى لأرجو ألا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية " . فقلت : أليس الله يقول : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١] . فقال رسول الله ﷺ :

" ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً " [مريم : ٧٢] "[٢] .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

" " من نوقش الحساب عذب " فقلت : يارسول الله ، أليس قال الله تعالى : " فسوف يحاسب حساب يسير ا" [الإنشقاق : ٨] ؟ . قال :ليس ذاك بالحساب ،ولكن ذاك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب"[٣].

وفى هذا دليل على أن الصحابة -رضى الله عنهم- كانوا يُورِدون على رسول الله ﷺ مايُشْكِلُ عليهم من الأسئلة والشبهات ، بغرض الفهم والبيان وزيادة الإيمان ، فيجيبهم عنها بما يُثْلِجُ صدورهم ، فيزدادوا بذلك إيماناً مع إيمانهم .

---

(١)رواه أحمد (٣٨٧/١) البخارى الإيمان باب : ظلم دون ظلم . مسلم كتاب الإيمان باب : صدق الإيمان وإخلاصه .الترمذى التفسير (٣٠٦٧)وقال : حسن صحيح .

(٢)) رواه أحمد (٢٨٥/٦) ابن ماجه (٤٢٨١) وأخرجه مسلم كتاب الفضائل (٢٤٩٦)وأحمد (٤٢٠/٦). من وجه آخر عن جابر بن عبد الله .

(٣) رواه أحمد (٤٨/٦) البخارى التفسير (٤٩٣٩) مسلم (٢٨٧٦) ابن حبان (٧٣٧٢).

المبحث الأول
الوهـــم في اللغة

الوَهْمَ :من خطرات القلب ، وهو : ما يقع في الذهن مـــن الخـــاطر . والجمـــع : أوهام.

يقال: (وَهَمْت)إلى الشيء (وَّهْماً) من باب وَعَدَ ، سبق القلب إليـــه مـــع إرادة غيره . و(وهمت) (وهماً) وقع فى خلدى . – والشيءّ : تمثله وتخيله وتصوره .

وتوَهَّم الأمر : تخيله وتمثله وظنه . والموهوم من الأشياء الذي ذهب إليه الوَهْمَ .

و (وَهِمَ) في الحساب: غَلِطَ فيه وسها، وبابه فَهِم. (١)٠

وبالتأمل فيما سبق من كلام أهل اللغة في معني (الوهم) يلاحـــظ أن هـــذه الكلمة تَعْنِى ما يَسبِق إلى القلب ، في خَلَدِ الإنسان من الظن والتخيل ، والتصـــور لأمر مَّا حِسّياً أو معنوياً سواء وافق ما توهمه أو غلط فيه . وكلام الله تعالى مـــتره عن الغلط والاختلاف والتناقض بين آياته، لكن ربما يقع لبعض الأذهان القاصـــرة تَوَهمُّ ذلك.

ولذا أشار العلماء إلى دفعه وعبروا عنه ب " موهم الاختلاف " وعدُّوه نوعاً مـــن أنواع علوم القرآن. وأضاف السيوطي إلى عنـــوان هـــذا النـــوع : الإشـــكال ، والتناقض .

فقال في عنوانه : " في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض " .

وهي زيادة يستوعبها معنى الاختلاف ، لكونه أعم من الإشكال والتناقض والتضاد : فالعلاقة بينهما العموم والخصوص .يقول الإمام الراغب في مفرداته :

---

(١) انظر مادة (وهم) في كل من : لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير ، والمعجم الوسيط .

((... والاختلاف والمخالفة : أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله،والخلاف أعم من الضِّدِّ؛لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين))[١].

معنىالتناقض والتضاد:

المناقضة فى الكلام : التخالف ، وأصله التخالف نفياً وإثباتاً من النقيضين ، يقال :فى كلامه تناقض : إذا كان بعضه يقتضى إبطال بعض . وتناقض الكلامان : تدافعا ، كأن كل واحد نقض الآخر.والمناقضة فى القول :أن يُتكلم بما يتناقض معناه .

والمتناقضان من الكلام : مالايصح أحدهما مع الآخر فى شىء واحد وحال واحدة ، نحو : هو هكذا ، وليس هكذا .

والمتضادان : اللذان لايجتمعان ، كالليل والنهار .فالضدان : لايصح اجتماعهما فى شىء واحد ، فمن علامة الضدين ألايجتمعا ، وقد يرتفعان ، كالحركة والسكون ،

والنقيضان : مالايجتمعان ولايرتفعان ، كالسلب والإيجاب . وكقولك : زيد قائم ، وزيد ليس بقائم ، فالنقيضان : كل قضيتين متى صدقت إحداهما كذبت الأخرى .[٢]

وقال أبو هلال العسكرى :

---

(٢) المفردات : مادة [خلف] .

(١) انظر : لسان العرب ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبى والمصباح المنير والمعجم الوسيط مادة :ضدد ، و نقض

الفرق بين التضاد والتناقض : أن التناقض يكون فى الأقوال ، والتضاد يكـــون فى الأفعال . يقال : الفعلان متضادان ، ولايقال : متناقضان ، فإذا جعل الفعل مـــع القول استعمل فيه التضاد فقيل : فعل فلان يضاد قوله .

وحدّ الضدين : هو ماتنافيا فى الوجود ،وحدّ النقيضين : القولان المتنافيان فى المعنى دون الوجود . [١]

---

(٢) انظر : الفروق اللغوية رقم (٤١)

تعريف هذا العلم والفرق بينه وبين المتشابه

عرَّفه الزركشى هذا العلم بقوله :

هو ما يوهم التعارض بين آياته وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾النساء ٨٢:

ولكن يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به ، فاحتيج لإزالته [١]

والفرق بينه وبين المتشابه – كما يقول السيوطي – : أن المتشابه لا يفهم معناه والمراد منه ، وهذا يفهم بالجمع ، إذ المراد منه الآيات التي ظاهرها التعارض المنزه عنه كلام الله تعالى . [٢]، ومَنْ رَسَخ قدمةُ في معرفة لغة العرب واستعمالاتها ، وفنونها ، ورُزِقَ فهماً وبصيرةً لم يخف عليه الجمع بين الآيات المشكلة . [٣]

ومثال ذلك ما ثبت في كتب التفسير والحديث :

أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: رأيت أشياء تختلف عليَّ من القرآن ،

---

(١) البرهان النوع الخامس والثلاثون (١٧٦/٢) وانظر الإتقان النوع الثامن والأربعون (٧٢٤/٢) .

(٢) " التحبير في علم التفسير " النوع السادس والأربعون : ص٢١١. وقول السيوطي : إن المتشابه لا يفهم معناه، والمراد منه ، يقصد به نوعاً معيناً من أنواع المتشابه وهو ما استأثر الله بعلمه ، ولا سبيل للإنسان إلى معرفته فالمتشابه : ما اختلف فيه ، ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب :-

١. ضرب لا سبيل للوقوف عليه ، كوقت الساعة ، وخروج دآبة الأرض ، وكيفية الدآبة ونحو ذلك

٢. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته ، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلِقَة .

٣. وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ، ويخفى على من دونهم ، وهو الضرب المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس : ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)) . وإذا عرفت هذه الجملة علم أن الوقف على قوله : { وما يعلم تأويله إلا الله } [آل عمران : ٧] ووصله بقوله : (والراسخون في العلم ...) [آل عمران : ٧] جائز ، وأن لكل واحد منهما وجها حسبما دل عليه التفصيل المتقدم . انظر : المفردات للراغب مادة [شبه] ،

(٣) " التحبير في علم التفسير ": ص٢١١ بتصرف يسير .

فقال ابن عباس: ما هو ؟ أشك ؟ قال : ليس بشك ولكنه اختلاف ٠

قال : هات ما اختلف عليك من ذلك قال : أسمع الله يقول :

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام : ٢٣]

- وقال : ﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ [النساء:٤٢]فقد كتموا.
- وأسمعه يقول ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون: ١٠١]
- ثم قال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ [الطور:٢٥]
- وقال ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾حتى بلغ ﴿طائعين ﴾ [فصلت :٩]،فبدأ بخلق الأرض في هذه الآية قبل خلق السماء٠ ثم قال في الآية الأخرى : ﴿ أم السماء بناها ﴾[النازعات : ٢٧] ،ثم قال : ﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء : ١٥٨]﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾[النساء: ١٠٤]٠

فكأنه كان ثم مضى ٠-وفى لفظ - ما شأنه يقول : { وكان الله } ؟ ٠

فقال ابن عباس: أما قوله﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة ،وأن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركاً ، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا : ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ !! فختم الله على أفواههم وتكلمت أيدهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك: ﴿ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾٠

وأما قوله : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾فهذا في النفخة الأولى .

﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾[الزمر: ٦٨]

فلا أنساب بينهم عند ذلك ، ولا يتساءلون ،﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون }[الزمر: ٦٨] { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [١]

وأما قوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ ، فإن الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض .

وأما قوله: ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ يقول: جعل فيها جبلاً، جعل فيها نهراً، جعل فيها شجراً، وجعل فيها بحوراً.

وأما قوله ﴿وكان الله﴾ فإن الله كان ولم يزل كذلك ، وهو كذلك﴿عزيز حكيم﴾﴿عليم قدير ﴾ ثم لم يزل كذلك.

فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك ، وأن الله لم يتزل شيئاً إلا وقد أصاب به الذي أراد ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . [٢]

فانظر إلى المنهجِ السديدِ والبصيرةِ النافذِة لابن عباس – ترجمان القرآن – كيف أزال ما يوهم بظاهره التعارض والاختلاف بين آيات القرآن الكريم وأمكن التوفيقُ بينها ، ومعرفةُ المعنى المراد من مجموعها . وهذا المنهج ينبغي أن يكون نبراساً للباحث والمتدبر في آيات القرآن يضيء له طريق فهم النصوص وإزالة ما قد يوهم ظاهرها من تناقض أو اختلاف .

---

(١) وكذا روي عنه في آيات نحو ذلك : أن في القيامة مواقف ففي بعضها ينكرون ، وفي بعضها لا ينكرون وفي بعضها يسألون وفي بعضها لا يسألون . انظر الدر المنثور (٣٠/٥) .

(٢) علقه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة فصلت (حم السجدة) ، وأسنده ابن جرير (٦٠/٥) وابن المنذر في تفسيره (١٧٩١)وابن أبي حاتم رقم (٥٣٤٨) والطبراني المجمع (١٧٦/٩) وقال : رجاله ثقات ، والحاكم (٣٠٦/٢-٣٩٤) وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٢٠/٢) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢٩٢/٢) لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه

المصنفات في هذا النوع من العلوم القرآنية

هذا العلم رديف " مختلف الحديث " أو " مشكل الآثار " من أنواع علم الحديث. وقد اعتنى العلماء بإفراد كل منهما بالتصنيف والتأليف . بيد أن ما يهمنا في هذا المقام إبراز الكتب المصنفة في " مشكل " [١] وموهوم الاختلاف والتناقض في آيات القرآن.

- ويعد العلامة النحوي المعروف ب : قطرب (ت:٢٠٦) [٢] من أقدم العلماء الذين أفردوا هذا بالتصنيف ، جمعه على السور ، وأثنى عليه الإمام الزركشي فقال : وقد رأيت لقطرب فيه تصنيفاً حسناً . [٣]
- كما صنف ابن قتيبة (ت :٢٧٦) كتاباً جيداً في هذا النوع – كما يقول الإمام السيوطي : " تأويل مشكل القرآن "[٤].أفرد فيه باباً للتناقض والاختلاف،أورد فيه (٢٤) إشكالاً يُظن فيها التعارض والإيهام، وردّ عليها.
- ولابن الحداد الغساني (ت: ٣٠٢) "توضيح المشكل من القرآن " [٥]

–ولأبي المعالي عزيز بن عبد الملك (ت ٤٩٤) "البرهان في مشكلات القرآن "[١]

---

(١) المشكل: الملتبس، والإشكال: الأمر يوجب التباساً في الفهم. انظر المعجم الوسيط مادة (شكل)

(٢) أبو على محمد بن المستنير المعروف ب: قطرب . لازم سيبويه وكان يرى رأى المعتزلة النظامية وله من التصانيف " الرد على الملحدين في متشابه القرآن انظر " إنباه الرواه " للقفطى (٢٢٠/٣) ومعجم الأدباء " لياقوت " (٥٣/١٩)

(٣) انظر : "البرهان (١٧٦/٢) ومفتاح السعادة " لطاش كبرى زاده (٤٠٧/٢) ط ، دار الكتب العلمية .

(٤) التحبير في علم التفسير : ص(٢٢١)

(٥) معجم مصنفات القرآن الكريم " لعلى شواخ " (١٩٨/٤)ط : دار الرفاعى . الرياض

- ولابن شهر أشوب محمد بن على (ت :٥٨٨) " المتشابه والمختلف"(٢).
- وللإمام العز بن عبد السلام (ت:٦٦٠) : " فوائد في مشكل القرآن " (٣).
- وللإمام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري الشافعي (ت٩٢٦هـ) مؤلف بعنوان" فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " (٤).
- وكتب الخطيب العمري محمد أمين بن خير الله بن محمود بن موسى (ت ١٢٠٣ هـ)كتاباً أسماه : " تيجان التبيان في مشكلات القرآن " (٥).
- وللميهى على بن عمر بن أحمد المقرئ الشافعي (ت ١٢٠٤ هـ) " هداية الصبيان لفهم بعض مشكل القرآن "(٦)
- ومن أحدث المصنفات في هذا النوع:"دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب " . للشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى (ت: ١٣٩٣) .
- وهناك مؤلفات أخرى غير ما ذُكر ، لكن تجدر الإشارة إلى أن ما نشر من المصنفات المذكورة – سوى الأخير – لم يكن من منهج أصحابها ذكر الآيات التي يوهم ظاهرها الاختلاف والتعارض وبيان أوجه التوفيق بينهما فحسب ، بل تضمن الكلام على المتشابه اللفظي والقصد به : ذكر

=

(٦) كشف الظنون " لحاجى خليفة " (٢٤١/١) ط : دار الكتب العلمية

(١) معجم الدراسات القرآنية " لابتسام الصفار " ص (٦٠٣ – ٦٠٤) ط: مطابع جامعة الموصل

(٢) وهذا الكتاب طبع بتحقيق رضوان على الندوى . بوزارة الأوقاف الكويتية عام (١٩٦٧م) .

(٣) جاء في اللسان مادة (لبس): اللَّبس واللَّبَسُ : اختلاط الأمر ، لبس عليه الأمر يلبسه لبساً فألتبس إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته والتبس عليه الأمر أي : اختلط واشتبه .

(٤) " معجم مصنفات القرآن " (١٩٨/٤).

(٥) إيضاح المكنون (٥٨٢/١) ،لإسماعيل البغدادي ، ط : دار الكتب العلمية .

الآيات الواردة في القصة الواحدة ، لكن بصور شتى ، وفواصل مختلفة ، سواء كان ذلك بالتقديم والتأخير ، أو زيادة حرف و نقصانه أو غير ذلك [١]. وهو علم مستقل بذاته خصه بالتصنيف خلق كثير [٢] وأفرد له الزركشى والسيوطي نوعاً مستقلاً من أنواع علوم القرآن [٣]

ومن أمثلته :

قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [آية: ٣٢]

وقوله سبحانه وتعالى في سورة الصف ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [آية : ٨]

فهذان النصان متشبهان ولكنهما ليس بمتماثلين متطابقين تماماً فبحث العلماء وتكلموا عن دلالات هذا الاختلاف وتكامله في أداء المعنى الكلى.

---

(١) فالإمام ابن قتيبة – رحمة الله – ذكر في كتابه " تأويل مشكل القرآن " باباً تحدث فيه عما يوهم ظاهره التناقض والاختلاف ، من ص ٦٥ إلى ٨٥ وهذا نذر يسير من جملة الكتاب الذي يقع فيما يزيد على الخمسمائة صفحة ، وأذكره على سبيل المثال .

(٢) منهم الإمام الكرماني في كتاب أسماه " البرهان في متشابه القرآن " مطبوع .

(٣) انظر البرهان النوع الخامس " علم المتشابه اللفظي " والإتقان، النوع الثالث والستون " في الآيات المتشبهات

موقف المسلم مما ظاهره التعارض والاختلاف

يؤخذ مما سبق من نصوص وأخبار أن من التبس عليه شيء من القرآن مما يوهم ظاهره التعارض أو الاختلاف عليه أولاً:

أن يوقن ويسلم أن القرآن كلام الله كله حق محكمه ومتشابهه ، وأن الحق لايتناقض ولايختلف ، ومحكمه واضح المعانى بيِّن لايشتبه بغيره ، ومتشابهه يحتمل بعض المعانى ، ولايتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها ،حتى تنضم إلى المحكم . كذلك ليس بين أحاديث النبى ﷺ الثابتة تعارض ولاتناقض ولااختلاف ، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً .

يقول الشاطبى :

ينبغى على الناظر فى كتاب الله تعالى أن يوقن أنه لاتضاد بين آيات القرآن ، ، ولابين الأخبار النبوية ، ولابين أحدهما مع الآخر ، بل الجميع جارٍ على مهيع –أى طريق – واحد ، ومنتظم إلى معنى واحد ، فإذا أداه بادىء الرأى إلى ظاهر اختلاف فوجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف ؛ لأن الله قد شهد له أنه لااختلاف فيه ٠فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع ، أو المسلّمِ من غير اعتراض٠(١)

ثانياً : الذى تحصل فيه الحيرة لناقص العلم ، وقليل المعرفة ، يرده إلى عالمه ، ليزيل وهمه ، ويدفع حيرته ، ويكشف النقاب عن وجه الحق ، إنطلاقاً من قوله تعالى :﴿فسألوا أهل الذكر إن كنتم تعلمون ﴾[النحل :٤٣]٠

﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[الفرقان :٥٩]٠

---

(١) الاعتصام (٥١١/٢) بتصرف يسير ٠ ط: دار الكتاب العربى ٠

– وعن المقداد بن الأسود قال : قلت للنبى ﷺ : شيء سمعته منك شككت فيه٠قال : إذا شك أحدكم فى الأمر فليسألنى عنه ٠٠٠" الحديث. (١)٠

– وقالت أم سليم –والنبى يسمع– : إن الله لايستحى من الحق ، ولنا أن نسأل النبىﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء ٠٠" ٠(٢)

– ولما بعث ﷺ معاذا إلى اليمن قال له " ٠٠٠وإن أَشْكَل عليك أمر فقف حتى تبيِّنه أو تكتب إلىّ فيه " (٣)٠

– وقد سمع النبى ﷺ قوماً يتدارؤن – أى : يتدافعون ويختلفون فى القرآن – فخرج عليهم وهو مغضب فقال : " إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض،فما علمتم منه فقولوا، وماجهلتم فكِلُوه إلى عالمه " (٤).

ثالثاً : التحذير من الخوض بغير علم فيما يوهم ظاهره التعارض والاختلاف من آيات القرآن ، أو الاصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن ممن ليس لهم حظ من العلم ونصيب من المعرفة ، التى تعصمهم من الوقوع فى الزلل ، والشطط فى القول ، فسبيل هؤلاء أن يضلوا فى أنفسهم ويضلوا غيرهم ،وقصة عمر –رضى الله عنه – فى إنكاره على صَبِيغ– بوزن عظيم – لما بلغه أنه يتبع المتشابه من القرآن معروفة ، فقد روى الدارمى وغيره :قدم المدينة رجل يقال له : صبيغ بن عسل ، فجعل يسأل عن متشابه القلرآن ؛ فأرسل إليه عمر لفأعدَّ له عراجين

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات ، إلا قرينة تفرد عنها ابن أخيها ٠المجمع(١/١٥٥)

(٢) رواه أحمد (٦/٣٧٧)وهو فى الصحيح باختصار وفيه انقطاع ٠المجمع (١/١٦٥)

(٣) رواه ابن ماجه المقدمة رقم (٥٥)

(٤) رواه عبد الرزاق (٢٠٣٦٧) أحمد (٢/١٨٥)وابن ماجه (٨٥) وفى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات . وانظر الدر(٢/٩)

النخل ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ . قال : وأنا عبـــد الله عمـــر ، فضربه حتى أَدْمَى رأسه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذى كنـــت أجده فى رأسى ".

زاد ابن الأنبارى : "... فقال عمر : ألبسوه ثيابه ، واحملوه على قتب ، وأبلغوا به حيّه ، ثم ليقم خطيباً فليقل :

إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه،فلم يزل وضيعاً فىقومه بعد أن كان سيداً فيهم " . (١)

وهذا يدل على أن صبيغاً لم يكن سليم القلب ، وأن سؤاله لم يكن طلباً للعلـــم ، وإلا لم يصنع به عمر – رضى الله عنه – ماصنع . وقال ابن كثير :

وإنما ضربه عمر ؛ لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً . (٢)

---

(١) رواه الدارمى (٥٤/١) وله طريق أخرى عند ابن الأنبارى كما فى القرطبى (١٧/٤-٢٩/١٧) وقـــال الحافظ فى الإصابة) رقم (٤١٢٧) : سنده صحيح .وانظر:كنز العمال رقم(٤١٧٠،٤١٦٩،٤١٦١)٠

(٢) تفسير ابن كثير (٦٨٧/٥) وروح المعانى للألوسى (٢/٢٧)٠

المبحث الثانى
أوجه الاختلاف وأسبابُه

الاختلاف على وجهين : اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو الممتنع على القرآن، واختلاف تلازم ، وهو ما يوافق الجانبين ، كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد.[١] ، فالاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد ، واختلاف التنوع على وجوه:

- منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً ، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم عن الاختلاف رسول الله ﷺ وقال : " كلاكما محسن " [٢]
- ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، والتعبير عن المسميات. فيقال مثلاً : هذه هرة ، وهذه قطة ، وهذه سنور.
- ومنه ما يكون المعنيان متغايرين لكن لا يتنافيان فهذا قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر.وهذا شاع في التفاسير المتعددة مما يحتمله لفظ الآية.
- ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان ، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريقة ، وآخرون قد سلكوا الأخرى وكلاهما حسن في الدين ، وذلك كاختلاف طرق التفسير ومناهجها .

---

(١) انظر : غرائب التفسير للكرمانى (٣٠١/١) والبرهان في علوم القرآن (١٧٧/٢)

(٢) رواه البخارى كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة .

وأما اختلاف التضاد فهو : القولان المتنافيان : إما في الأصول ، وإما في الفروع ، فهذا النوع الخطب فيه أشد ؛ لأن القولين يتنافيان .

وأما النوع الأول : فكل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تـــردد ، وقـــد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل ذلك ، كما في قوله تعالى ﴿ مَـــا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الحشر : ٥)

وقد كانوا – أي الصحابة – اختلفوا في قطع الأشجار وذلك في غزوة بنى النضير ، فقطع قوم وترك آخرون ٠وكما في قوله

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيـــهِ غَـــنَمُ الْقَـــوْمِ وَكُنَّـــا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء : ٧٨ – ٧٩]٠

وكما في إقرار النبي ﷺ – يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ، ولمن أخرهـــا إلى أن وصل إلى بنى قريظة . (١)

والاختلاف بين علماء السلف والخلف في تفسير القرآن الكريم، أغلبه يرجـــع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد. وهو أيسر أنواع الاختلاف ، ومن صـــور هذا الاختلاف وأنواعه :

أولاً: أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المُسمَّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المُسمَّى ومثـــال ذلـــك تفســـير " الصراط المستقيم ".

---

(١) انظر القصة بطوله في صحيح البخاري كتاب المغازى باب : مرجع النبي – ﷺ – من الأحزاب " وراجع اقتضاء الصراط المستقيم " لابن تيمية (١٩/١) وما بعدها بتصرف وتلخيص .

فقيل في تفسيره: " القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: السنة والجماعة، وقيل: العبودية، وقيل: طاعة الله ورسوله. فهذه الأقوال كلها تدل على ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها ".

الثاني : أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل ، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه ومثال ذلك : ما نقل في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(فاطر: ٣٢) . فمن المفسرين من قال:

– السابق : الذي يصلى في أول الوقت ، والمقتصد : الذي يصلى أثنائه ، والظالم لنفسه : الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار .

– ومنهم من قال: السابق والمقتصر والظالم، قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع.

– ومنهم من قال : السابق : المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات . والظالم آكل الربا، أو مانع الزكاة ، والمقتصر الذي يؤدى الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا ، وأمثال هذه الأقاويل .

فكل قول من هذه الأقوال إنما يذكر نوعاً مما يتناوله نص الآية لتعريف المستمع وتنبيهه على نظاهره ، ولا يضاد ما ذكره غيره .

الثالث: ما يكون فيه اللفظ محتملاً للأمرين:

ومثاله : لفظ " قسورة " فإنه يراد بها الرامي ، ويراد بها الأسد . ولفظ " عسعس " يراد به إقبال الليل ، وإدباره . ولفظ " القرء " يراد به الحيض والطهر .

الرابع: أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، ومثاله أن يفسر أحدهم قوله تعالى: " أن تبسل " [الأنعام : ٧٠] بـــ " تحبس "،ويقول الآخر : " ترتهن "ونحو ذلـــك (١).

وكل هذه الأنواع من اختلاف التنوع وليست من اخـــتلاف التضـــاد، وهـــو اختلاف لا ضرر فيه.

وقد عقد الإمام الزركشى فصلاً بيَّن فيه أسبابَ الاختلاف فقال :

الأول : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى ، كقوله تعالى في خلق آدم إنه : ﴿ من تُرَاب ﴾ [آل عمران : ٥٩]،ومرة ﴿ من حَمَإٍ مَسنُون ﴾[الحجر : ٢٦ ، ٢٨، ٣٣] ،ومرة ﴿ مِن طِينٍ لازِب﴾[الصـــافات:١١] ومرة ﴿ من صَلصَالٍ كَالفَخَـــار ﴾[الرحمن : ١٤] ،وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة ؛ لأن الصلصـــال غير الحمأ ، والحمأ غير التراب ، إلا أن مرجعها إلى جوهر وهو التـــراب ، ومـــن التراب تدرجت أحواله .

– ومنه قوله تعالى : ﴿ فإذا هِـــيَ ثُعبَـــان مُـــبين﴾ [الشـــعراء : ٣٢] ،وفي موضـــع ﴿ تَهتَزُ كَأَنَهَا جَان ﴾ [القصص :٣١] ،والجان : الصغير من الحيات،والثعبان الكـــبير منها ؛وذلك لأن خلقها خلْق الثعبان العظيم،واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته .(٢)

الثاني : لاختلاف الموضوع كقوله تعالى :﴿ وَقِفُوهم إِنَهُم مَســـؤُولُون﴾[الصـــافات : ٢٤] وقوله : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَـــلِينَ ﴾ [الأعـــراف : ٦] مع قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن :٣٩] ،

---

(١) انظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص (٤٣ – ٤٤)

(٢) الإتقان : (٢/٧٣٥) .

قال الحليمى [١] : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه .

وحمله غيره على اختلاف الأماكن ؛ لأن في القيامة مواقفَ كثيرةَ فموضع يُسأل ويُناقش وموضع آخر يُزحَم ويُلْطَفُ به ، موضع آخر يعنف ويوبخ _ وهم الكفار – وموضع آخر لا يعنف ، وهم المؤمنون ٠وقوله:﴿ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، مع قوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر ٩٢-٩٣] ٠وقيل : المنفى كلام التلطف والإكرام ، والثابت سؤال التوبيخ و الإهانة فلا تنافى٠ ومنه قوله تعالى ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] مع قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ٣٦] ، يحكى عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي [٢]– رحمه الله – أنه جمع بينهما ، فحمل الآية الأولى على التوحيد ، والثانية على الأعمال ، والمقام يقتضى ذلك ؛ لأنه بعد الأولى قال : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ٠

الثالث : لاختلافهما في جهتي الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾[الأنفال : ١٧] ، أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير .

الرابع : لاختلافها في الحقيقة والمجاز كقوله : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ [الحج : ٢] ، أي سكارى من الأهوال مجازاً ، لا من الشراب حقيقة .

---

(١) هو الإمام أبو عبدالله الحسين بن الحسن الحليمى الشافعي رئيس أهل الحديث ،كان من أذكياء زمانه له كتاب " المنهاج في شعب القرآن انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/١٠٣٠)

(٢) هو على بن عبد الله بن عبد الجبار ، أبو الحسن الشاذلي ، الضرير الزاهد ، نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية ، وقد انتسب إلى الحسن بن على بن أبي طالب ، كان كبير المقدار عالي المقام ، حج مرات ومات بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ ، فدفن هناك (انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن (٤٥٨)

الخامس : بوجهين واعتبارين،وهو الجامع للمفترقات كقوله : ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[ق: ٢٢]٠مع قوله : ﴿ خَاشِعِينَ مِنْ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى : ٤٥] قال قطرب : ﴿ فَبَصَرُك ﴾ أي علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم : بَصُرَ بكذا أي علم ، وليس المراد رؤية العين ، قال الفارسي (١) : ويدل على ذلك قوله : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴾ [ق: ٢٢] وكقوله ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] وفي موضع ﴿ألف سنة ﴾ [السجدة : ٥] ، وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر ، بدليل ﴿وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾ [الفرقان : ٢٦] .

هذا ٠وقد يقع التعارض بين الآية والحديث ولا بأس بذكر شيء للتنبيه لأمثاله٠ فمنه قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ ﴾[المائدة: ٦٧]وقد صح أنه شُجَّ يوم أحد (٢)

وأجيب بوجهين:

أحدهما : أن هذا كان قبل نزول هذه الآية ؛لأن غزوة أحُد كانت سنة ثلاث من الهجرة وسورة المائدة من أواخر ما نزل بالمدينة٠ والثاني : بتقدير تسليم الأخير فالمراد العصمة من القتل ، وفيه تنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء ، فما أشد تكليف الأنبياء (٣)

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو على الفارسي ، واحد زمانه في العربية ، أخذ عن الزجاج وبرع ، من طلبته ابن جني ، من تصانيفه " الإيضاح في النحو " ت ٣٧٧هـ إنباه الرواة للقفطى (٣٠٨/١) .

(٢) حديث متفق عليه من رواية أنس بن مالك . البخاري كتاب المغازى باب : " ليس لك من الأمر شيء " مسلم كتاب الجهاد باب : " غزوة أحد "

(٣) هذه العبارة منقولة بتصرف عن الفخر الرازي في التفسير (٥٠/١٢) عند تفسير سورة المائدة

– ومنه قوله تعالى : " ادخُلُوا الَجنَّة بِمَا كُنتُم تَعمَلُون "[النحل : ٣٢] ، مع قوله – ﷺ – : " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله " (١).

وأجيب بوجهين :

أحدهما : ونقل عن سفيان وغيره – كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال . ويدل له حديث أبي هريرة :" إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم " (٢)

الثاني :

أن الباء في الموضعين مدلولها مختلف ، ففي الآية باء المقابلة وهي الدخلة على الأعواض ، وفي الحديث للسببية ؛ لأن المعطى بعوض قد يعطى مجاناً ، وأما المسبَّب فلا يوجد بدون السبب ، ومنهم من عكس هذا الجواب وقال : الباء في الآية للسببية ، وفي الحديث للعوض (٣) أ هـ ملخصاً (٤)

---

(١) حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة . البخاري كتاب الرقاق باب: القصد والمداومة على العمل، مسلم كتاب صفات المنافقين باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله

(٢) الحديث رواه الترمذي كتاب صفة الجنة رقم (٢٥٤٩) وهى العبارة الأولى من حديث طويل ، ابن ماجه الزهد (٤٣٣٦)

(٣) ذكر ابن حجر في الفتح (٢٩٥/١١) أقوالاً في الجمع بين الآية والحديث " لن يدخل أحدكم الجنة بعلمه" عن ابن بطال ، وابن الجوزي ، وابن القيم ، وابن هشام . مفاده لا يخرج عما ذكر هنا

(٤) البرهان في علوم القرآن (١٨٣/٢) وما بعده بتلخيص

قانون الترجيح عند التعارض

تبين مما سبق أن القرآن الكريم لا تعارض فيه ولا تناقض وإنما آياته مؤتلفة غير مختلفة ، مترابطة غير متنافرة ، بيد أن هناك آيات تشتمل على أحكام متباينة ، يتعذر الجمعُ بينها ، فيتوهمُ من لا علم له وجودَ التعارض والاختلاف في القرآن ، وليس بذلك ، بل لا يعدو الأمر أن تكون الآيات بعضها متقدماً في النزول وبعضها متأخرا فيحكم بنسخ المتقدم وبقاء الحكم الوارد في الآيات المتأخرِة النزول .

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني [١]:

" إذا تعارضت الآي وتعذر فيها الترتيب والجمع، طُلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر، ويكون ذلك نسخاً، وإن لم يعلم، وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين، علم بإجماعهما أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها .

قال : ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين [٢]

فالإمام الإسفراييني يرى أن وجه الجمع بين الآيتين أو الآى هى :

- يلجأ المفسر إلى الجمع بوجه من وجوه الجمع .
- إن تعذر الجمع ينظر فى التاريخ ، فيكون المتأخر ناسحاً .
- فإن جُهل التاريخ وكان الإجتماع على استعمال إحدى الآيتين ، علم بإجماعهم أن الناسخ ماأجمعوا على العمل به .

وهذا الكلام متعين فى آيات الأحكام ، أما الأخبار فلا يدخلها النسخ .

---

(١) الإمام الأصولي الشافعي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني : أحد المجتهدين في عصره (ت ٤١٨) سير أعلام النبلاء (١٩ / ٢٥٣)

(٢) إختلفوا في جواز نسخ الحكم الثابت بالإجماع فنفاه الأكثرون، وأثبته الأقلون والمختار مذهب الجمهور : أن الإجماع لا ينسخ به خلافاً لبعض المعتزلة وغيرهم ، انظر تفصيل المسألة في " الإحكام في أصول الأحكام " للآمدى (١٧٤/٣) .

وقال الصيرفي (١):" جماع الاختلاف والتناقض : أن كل كلام – صح أن يضاف بعضُ ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه – فليس فيه تناقض ، وإنما التناقض في اللفظ ما ضادَّه في كل جهة ، ولا يوجد في الكتاب ولا في السُنة شيء من ذلك أبداً ، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين " أ ٠هـ (٢) .

فمثلاً قوله تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٥] ، منسوخة بآية النور:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾[آية: ٢] ٠

– وقوله تعالى: ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا ﴾[المجادلة : ١٢] منسوخة بالآية بعدها.

ويراعى عدم الخلط بين الناسخ والمنسوخ ، وبين الخاص والعام ، فهناك آيات واردة في القرآن يوهم ظاهرها التعارض وهى من قبيل المخصوص ، لا المنسوخ ، وجانب الصواب مَنْ أدخلها في المنسوخ ،– ومنه قوله : ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

قيل : إنه نسخ بقوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾[المائدة : ٥] . وإنما هو مخصوص به .

---

(١) الإمام الأصولي الشافعي أبو بكر محمد بن عبدالله الصيرفي . كان يقال : إنه أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي (ت ٣٣٠ هـ) طبقات الشافعية للسبكى (١٦٩/٢)

(٢) انظر :الاتقان (٧٣٤/٢)

– وجعل العلماء تعارض القرائتين في آية واحدة كتعارض الآيتين كقوله : ﴿وأرْجُلَكمْ﴾ [المائدة : ٦] . بالنصب والجر وقالوا : يجمع بينهما بحمل إحدهما على مسح الخف ، والثانية على غسل الرجل . (١)

– يضاف إلى هذا ما ذكره الإمام الباقلانى بقوله : لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما توجبه أدلة العقل فبذلك لم يجعل قوله تعالى : ﴿الله خالق كل شيء ﴾[الزمر : ٦٢] معارضاً لقوله :﴿ وَتخلُقُونَ إِفكاً ﴾ [العنكبوت : ١٧] . وقوله: ﴿ وإذ تخلق من الطين ﴾ [المائدة: ١١٠]. لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله ، فتعين تأويل ما عارضه ، فيؤول ﴿ وتخلقون ﴾ على معنى تكذبون ؛ لأن الإفك نوع من الكذب ، وقوله ﴿ وتخلق ﴾ على التصوير أي : تصورَّ (٢).

فهذا ونحوه يرُجع فيه إلى دلالات الألفاظ ، وكلما اتسعت دائرة المعرفة بلسان العرب الذي نزل به القرآن أمكن التوصل إلى الصواب في التأويل ، ودفع ما يوهم التناقض والتعارض ، باختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النص القرآني ..

---

(١) قال الإمام ابن الجزري في النشر (٢/٢٥٤) : واختلفوا في : ﴿ وأرجلكم ﴾ فقرأ نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب وحفص بنصب اللام وقرأ الباقون بالخفض .ولمزيد من التفصيل راجع ما ذكره ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية

(٢) انظر الإتقان (٢/٧٣٤) وراجع أيضاً " النوع السابع والأربعين " في الناسخ والمنسوخ.

أسباب اختلاف المفسرين

ولاختلاف المفسرين في تفسير كتاب الله تعالى عوامل كثيرة وأسباب عديدة نجملها فيما يلى :

الأول : اختلاف القراءات

الثانى : اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات .

الثالث : اختلاف اللغويين في معنى الكلمة .

الرابع : اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر .

الخامس : احتمال العموم والخصوص .

السادس : احتمال الإطلاق والتقييد .

السابع : احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن : احتمال الإضمار أو الإظهار .

التاسع : احتمال الكلمة زائدة .. وأنا ممن يؤمنون أنه ليس في القرآن الكريم كلام زائد بل كله لازم .

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير .

الحادي عشر :احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً .

الثانى عشر : اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف رضي الله عنهم .(١)

وإليك تفصيلاً وتوضيحاً لهذه الأسباب التى ذكرت على سبيل الإجمال والإيجاز .

---

(١) انظر : مقدمة تفسير " التسهيل لعلوم التنزيل " (١/٩)٠

أولاً: أنْ يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على حساب قراءة مخصوصة.

مثال ذلك: ما أخرجه ابن جرير الطبري (١)عن مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾[الحجر: ١٤-١٥]

أن معنى ﴿ سُكِّرَت ﴾ سُدَّت. ثم أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سُكرت بمعنى : أخِذَت وسُحِرَت ثم أورَدَ قولَ قتادة من قرأ ﴿سُكْرَت ﴾مشددة يعني سُدَّت ، ومن قرأ ﴿ سُكِرتَ ﴾ مخففة فانه يعني سحرت.

– ومثاله أيضاً ما أخرجه ابن جرير عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلهم مّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٥٠] . أنَّ القطران الذي تُهْنَأ به الإبل ، وروى عن ابن عباس وغيره أنَّه النحاس المُذاب(٢) فمن قرأ ((قَطِرَانٍ)) قال بالتفسير الثاني ، فالاختلاف يرجع للاختلاف في القراءة(٣)

ثانياً : ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في الإعراب ولا شك أنَّ للإعراب تأثيره في المعني فليس بين الفاعل والمفعول به مثلاً إلا الضبط بالشكل ، ويكفر من لَحَن مُتعمداً في قوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/١٤) والاتقان (١٢١٧/٢)

(٢) المرجع السابق ج : (١٦٨/١٤)

(٣) قال ابن جرير (١٦٨/١٣) وبهذه القراءة – أعنى – بفتح القاف وكسر الظَّاء وتصيير ذلك كله كلمة واحدة قرأ ذلك جميع قراء الأمصار ، وبها نجمع لإجماع الحجة من القراء عليه وقد روى عن بعض المتقدمين أنَّه كان يقرأ ذلك من قطران بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصييرآنٍ من نعته .

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣] . لو قرأها بكسر اللام من (رسوله) .

- وكذا قوله تعالى ﴿ هوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٤] لو قرأها بفتح الواو من المصور ، وها أنت ترى أنه ليس بين الكفر والإيمان إلا حركة واحدة ، كل هذا يدل على للإعراب من تأثير في المعاني .
- ومثال الاختلاف في الإعراب، اختلافهم في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] فقد اختلفوا في ﴿والراسخون﴾ فقيل عطف على اسم الله.
- وقيل: هم مرفوعون بالابتداء والخبر في قوله تعالى ﴿ يَقولُونَ ءَامَنَّابِهِ ﴾(١).

ثالثاً: وقد يكون سببه الاختلاف في المراد باللفظ لاحتماله أكثر من معني : إما بسبب الاشتراك اللغوي، بمعنى أنَّ الكلمة بحكم وضعها لغة تُستعمل لمعنيين مختلفين فيفسرها أحدُ العلماء بأحد المعنيين ويُفسرها آخر بالمعني الثاني ، وكلا التفسيرين جائز وصحيح ما لم يَقُمْ دليل على أحد المعنيين . كلفظ ((قسورة)) الذى يُطلق على (الرامي) وعلى(الأسد) ولفظ ((عسعس)) الذي يُرادُ به

(١) المُكتفي في الوقف والإبتداء : لأبي عمرو الداني ص : ١٩٧ .

إقبال الليل وإدباره ، ولفظ (النكاح) يطلق على العَقدِ ويطلق على الوطء،ولفظ القَرْء يُراد به الطهر والحيض.

– وكما يقع الاشتراك اللفظي في الأسماء والأفعال، فإنه يقع في الحروف كحرف (مِنْ) فإنه يأتي لابتداء الغاية كقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء::١] وللتبعيض كقوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] وللسببية كقوله سبحانه ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ﴾ [نوح : ٢٥] . وللجنس كقوله ﷻ ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج: ٣٠] .

ولما استعمل القرآن الكريم هذه الألفاظ المشتركة ونحوها كانت سبباً لاختلاف العلماء في التفسير.

وإمَّا لكونه متواطئا في الأصل (أى متوافقاً)، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩] وكلفظ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ و ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر ١-٣]، وما أشبه ذلك ٠ فمثل هذا قد يجوز أن يُراد به كُلُّ المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك. (١)

رابعا : ومن أسباب الاختلاف احتمال الإطلاق والتقييد في الآية :

والمُطْلَق هو : ما دَلَّ على الماهية بلا قيد (٢)

والمُقَيَّد هو : ما دَلَّ على الماهية بقيد . كالدم المقيد بالسفح في قوله تعالى ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ص (٦١-٦٢) ومجموع الفتاوى (١٣/٣٤٠) كلاهما لابن تيمية

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢/٧٣)

ومن المعلوم أنه يجب حَمْل المُطلق على المُقيَّد إذا وُجِدَ دليل يقتضي التقييد،ويقع الخلاف بين السلف في هذا الدليل ، فتراه طائفة فيحملون المُطلق على المُقيد،ولا تراه أخرى فُيبقُون المُطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده .

– ومثال ذلك عتقُ الرقبة في الكفارات ، فقد وردت مقيدة في كفارة القتل الخطأ بالرقبة (المؤمنة) قال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] . ووردت مُطلقة في كفارة الظهار قال تعالى: ((وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا)) [المجادلة :٣] .

ووردت مُطلقة في كفارة اليمين قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

فالرقبة في كفارة الظهار واليمين مطلقة تشمل المؤمنة والكافرة ، وفي كفارة القتل الخطأ مقيدة بالإيمان ، فقالت طائفة : بحمل المطلق على المقيد فلا تجزئ عندهم الرقبة الكافرة في الظهار واليمين ، بل لابدَّ من رقبة مؤمنة كما هي في كفارة القتل الخطأ وقالت طائفة أخرى : لا يحمل المُطلق على المُقيَّد إلا بدليل ولا دليل هنا فيبقى المطلق على إطلاقه ، فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفَّارة الظهار واليمين.

خامساً: ومن أسباب الاختلاف العموم والخصوص

والعام هو اللفظ الواحد الدال على مُسَمَّيين فأكثر في وقت واحد ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] .

فلفظ السارق وكذا السارقة عام يشمل كُلَّ مَنْ سَرَق أو سرقت من غير حصر في عدد مُعين ومن غير تخصيص .

والفرق بين العموم والاشتراك اللفظي أنَّ المشترك لفظ واحد يطلق على مسميين فأكثر إلا أنَّه ليس في وقت واحد ، فالعين تطلق على الباصرة والحسد ، وعين الماء ، لكن هذا الإطلاق ليس في وقت واحد فإمَّا يُراد بها هذا أو ذاك ، أما السارق فيطلق على أكثر من واحد في وقت واحد .

والخاص هو اللفظ الواحد الدال على مفرد معين، ومثاله لفظ ((المائة)) في قوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢] .

ولفظ الثمانين في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور:٤] فهذه الأعداد تدل على العدد المعين الذي وضعت له لا يشترك معها فيه معنى آخر.

– ومن أمثلته أيضا : الركوع والسجود المشار إليهما في قوله تعالى :﴿ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ [الحج : ٧٧] ، فإنَّ دلالة اللفظ عليهما قطعية لا يَحْتَمِل معنى آخر غير المعنى المراد .

وقد يستعمل اللفظ العام محل خاص حسب ما يقتضيه الحال كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

فالناس الأولى عامَّة والمرادَ بها خاص وهو نُعيم بن مسعود ، والناس الثانية عامة لكن المراد بها أبو سفيان وأصحابه .

والعموم والخصوص من أسباب الاختلاف بين المفسرين ، فقد يختلفون في عموم لفظ أو خصوصه .

سادسا : ومن أسباب اختلاف المفسرين الحقيقة والمجاز :

والحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ لَه [١] والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له على وجه يصح مع قرينة دالة على عدم إرادة المعني الأصلي. [٢]

وقد وقع اختلاف بين العلماء في وقوع المجاز فقالت بوقوعه طائفة وأنكرته أخرى .

فقوله تعالى : ((مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)) [المائدة: ٣٢] ، فالقتل هنا بمعناه الحقيقي . وأمَّا قوله تعالى: ((أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)) [المائدة : ٦] فإنَّ الغائط في معناه الأصلي يُطلق على المُطمئن من الأرض – يعني المنخفض – وموضوع قضاء الحاجة غائط ؛ لأنَّ العادة أن يقضي في المنخفض من الأرض حيث هو أستَترُ له [٣] والمراد به في الآية الحدث الأصغر وهو غير المعنى الذي وضعت له الكلمة في الأصل .

سابعاً : ومن أسباب اختلاف المفسرين الإضمار والإظهار :

وبيان ذلك أنَّ المراد قد يكون ظاهراً لالْبِيَ فيه ولا اختلاف كقوله تعالى ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)) [الأعراف: ١٤٣] .فإنَّ فاعل المجيء ظاهر لا لبس فيه، ولا اختلاف . كقوله تعالى: ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)) [الأعراف : ١٤٣] فإن فاعل المجيء ظاهر لا لبس فيه ، وكذا فاعل التكليم .

– ويختلف المفسرون أحياناً في مرجع الضمير إذا كان الفاعل مضمرا نحو قوله تعالى:((ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)) [النجم : ٨-٩]

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : الشوكاني ، ص : ٢١ .

(٢) شرح العقائد النسفية : للتفتازاني ص : ١٧١

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة (غوط)

فقيل : جبريل عليه السلام ، وهو قول أمَّ المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذرّ وأبي هريرة رضي الله عنهم ، وقيل: دنا الربُ من محمد ﷺ.

وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك -رضي الله عنهم- (١).

ثامناً : ومن أسباب اختلاف المفسرين النسخ والإحكام .والنسخ :

هو رفع الحكم الشرعي متراخ عنه بدليل شرعي متأخر (٢).

- ومن أمثلة الاختلاف في القول بالنسخ اختلافهم في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥].

فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه ما يدل على أنها مُحكمة وأنَّ المراد أنها نزلت في اشتباه القبلة(٣).وروى ابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أنَّها مُحكَمَه وأنَّ المراد بها صلاة التطوع(٤).وعلى كلا القولين فإنَّها مُحْكَمَه غير منسوخة وهو – أيضا – قول سعيد بن المسيب وعطاء والشعبي والنخعي(٥)

---

(١) انظر تفسير الطبرى (٢٦/٢٧) وابن كثير (٢٦٦/٤).

(٢) التيسير في قواعد علم التفسير " للكافيجى ص (٢٢٩)

(٣) روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : بعث رسول الله – ﷺ– سرية كنت فيها فأصابتنا ظُلْمَةٌ فلَمْ نعرف القبلة : فقالت طائفة : القبلة ها هنا فصَلّوا وخطّوا خطّاً ، وقال بعضهم : ها هنا ، فصَلّوا وخطّوا خطّاً ، فلما أصبحنا أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة ، فلما قَفَلْنا من سفرنا سألنا رسول الله – ﷺ – عن ذلك فسكت ، فأنزل الله تعالى ((فَأَيْنَمَا تُوَلُّ فَثَمَّ وَجهُ الله)) نواسخ القرآن : ابن الجوزى ص : ١٣٩ .والحديث رواه الدار قطني في سننه (٢٧١/١) والبيهقي في سننه (١١/٢).وقال : لم نعلم لهذا الحديث اسناداً صحيحاً قوياً . وضعفه السيوطي في الدر (١٠٩/١) .

(٤) قال ابن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يُصلى وهو مُقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزل قوله تعالى ((فَأَيْنَمَا تُوَلُّ اْ فَثَمَّ وَجهُ الله)) رواه مسلم الصلاة رقم (٣٣، ٣٤) .

(٥) نواسخ القرآن : ابن الجوزى ص :١٤٠ .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نُسِخ من القرآن – فيما ذُكِرَ لنا –والله وأعلم – شأن القِبلَةِ ، قال ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥] . فاستقبل رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ، ثم صرفه الله إلى البيت العتيق فقال :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] يعنون بيت المقدس ، فنسخها وصُرِفَ إلى البيت العتيق فقال : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] ٠

تاسعاً : ومن أسباب اختلاف المفسرين في تفسير الآية :

الاختلاف في الرواية عن الرسول ﷺ ، فقد بلغ أحدهم حديث الرسول ﷺ ولا يبلغ الآخرَ فيختلف تفسيرُ كلّ مُفسِّر عن الآخر. ومثاله في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقوله تعالى ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فقد استند علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم إلى هاتين الآيتين في أنَّ المرأة التي تُوفي عنها زوجُها تَعْتدّ بأبْعَدِ الأجلين . أما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قال :

من شاء قاسمته بالله أنَّ هذه الآية نزلت في النساء القُصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر ، ثم قال : ﴿ أجلُ الحامل أنْ تَضَعَ ما في بطنها ﴾[١]

---

(١) تفسير الطبرى : (٢٨ / ٩٢-٩٣) .

ويشهد لابن مسعود رضي الله عنه حديث سُبَيْعة الأسلمية فقد تُوفّيَ عنها زوجها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تَنْشَبْ أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَعَلَّت من نِفَاسِها تَجَمَّلت للخُطَّاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك فقال لها : مالي أراك مُتَجمِّلة ؟ لعلك ترجين النكاح ، إنَّك والله ما أنت بناكحٍ ، حتى تَمُرَّ عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سُبيعة : فلمَّا قال لي ذلك ، جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيتُ فأتيتُ رسول الله – ﷺ– فسألته عن ذلك ؟ فأفتاني بأني قد حَلَلتُ حين وضعت حَملي وأمرني بالتزوج إنْ بَدَا لي)) (١) .

وقد رجع عليٌّ وابن عباس رضي الله عنهم عن قولهما بعد أنْ بلغهما حديث سُبيعة ، فقد روى مسلم في صحيحه أنَّ أبا سَلمَة بن عبد الرحمن وابن عباس اجتمعا عند أبي هريرة وهما يذكران المرأة تَنْفَس بعد وفاة زوجها بليال فقال ابن عباس : عدَّتُها آخرُ الأجلين ٠وقال أبو سلمه: قد حَلَّت ٠ فجعلا يتنازعان ذلك ، قال : فقال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فبعثوا كُريباً (مولى ابن عباس) إلى أمِّ سَلمَة يسألها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أن أمِّ سَلمَة قالت : إن سبيعة الأسلمية نفسَتْ بعد وفاة زوجها بليالٍ وأنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج (٢).

تلكم أهم أسباب اختلاف المفسرين في التفسير وهناك أسباب أخرى غيرُها ويكفينا منها ما ذكرنا والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم الطلاق باب : انقضاء عدة المتوفي منها زوجها وغيرها بوضع الحمل .

(٢) المرجع السابق، الكتاب والباب السابق.

اختلاف القراءات

لا ريب أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. وذلك ضرب من ضـــروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز ، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدى إلى تناقض في المقروء وتضاد ، ولا إلى تهافت وتخاذل ، بل القرآن كله على تنوع قراءاته ، يصدِّق بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً ، ويشهد بعضـــه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتفسير،وهدف واحد من سمو الهدايـــة والتعليم . وذلك – من غير شك – يفيد تعـــدد الإعجـــاز بتعـــدد القـــراءات والحروف. ومعنى هذا أن القرآن يُعْجزُ إذا قرئ بهذه القراءة، ويعجـــز أيضـــاً إذا قرئ بهذه القراء الثانية، وهلم جرا. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجـــوه والحروف . ولا ريب أن ذلك أدل على صدق النبي محمد ﷺ ؛ لأنـــه أعظـــم في اشتمال القرآن على مناحٍ جمة في الإعجاز وفي البيان ، على كل حرف ووجـــه ، وبكل لهجة ولسان .(١)

– وجعل العلماء تعارض القرائتين في آية واحدة كتعارض الآيتين كقوله :

﴿ وأرْجُلَكمْ ﴾[المائدة : ٦] . بالنصب والجر وقالوا : يجمع بينهما بحمل إحدهما على مسح الخف ، والثانية على غسل الرجل .

وكذلك قراءة : (يطْهُرن) بالتخفيف ، و(يطَّهرن) بالتشديد فى حـــرف الطـــاء، ولاريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب امبالغة فى طهر النساء من الحـــيض ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ٠أما قراءة التخفيف فلا تفيـــد هـــذه المبالغـــة

---

(١) مناهل العرفان في علوم ا لقرآن (١٤٩/١)

٠ومجموع القرائتين يحكم بأمرين : أحدهما أن الحائض لايقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر ٠وذلك بانقطاع الحيض٠وثانيهما : أنها لايقربها زوجها أيضاً إلا إذا بالغت فى الطهر وذلك بالاغتسال ، فلابد من الطهرين كليهما فى جواز قربان النساء ٠وهو مذهب الشافعى ومن وافقه ٠[١]

(١) انظر:البرهان للزركشى (١٨٢/٢) مناهل العرفان في علوم ا لقرآن (١٤٧/١)

خاتمة

الحمد لله ..والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـــه وصـــحبه أجمعـــين ..

وبعد:

فمن خلال هذا البحث ظهرت عدة حقائق من أهمها :

أولاً: القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه يقول صدقاً ويقرر حقاً والحق لا يختلف في نفسه.

ثانياً: ينبغي على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً لاشبهة فيه ، أنه لا تضاد بين آيات القرآن الكريم ،ولااختلاف بين معانيها ومقاصدها .

ثالثاً: إذا أشكل على المسلم في القرآن لفظ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره من أهل العلم ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعملون ﴾[النحل :٤٣]

رابعاً : على الباحث في القرآن الكريم والمتدبر لآياته أن يرجع في موضوع الـــنص القرآني الذي يدرسه ويتدبره إلى جميع ما جاء في القرآن حوله من آيات أخرى . وما جاء في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ فمن شأن هذا الرجوع أن يهدى الباحث إلى الفهم الذي هو أقرب إلى الصواب – إن شـــاء الله – وعليـــه أن يختار بعد ذلك المعنى الملائم من معاني الكلمة القرآنية للنص الذي يدرسه.

خامساً: ينبغي عليه أيضاً أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً ، وبالتبصر في مختلف معاني الكلمة القرآنية واستعمالاتها الحقيقية والمجازيـــة فهذا من شأنه أن يساعد بتوفيق الله تعالى على إزالة ما يـــوهم الاخـــتلاف والتناقض وفهم المعنى الصحيح المراد من آيات القرآن .

وأسأل الله ﷻ أن يهدينا سواء السبيل ويسلك بنا سلوك عباده المتقين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم مصادر البحث

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة
١	الإتقان في علوم القرآن	الإمام جلال الدين السيوطي	ط : دار ابن كثير
٢	البرهان في علوم القرآن	الإمام بدر الدين الزركشى	ط: دار المعرفة
٣	التحرير والتنوير	الشيخ الطاهر بن عاشور	ط : الدار التونسية
٤	تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير الدمشقي	ط: الشعب
٥	تفسير القرآن الحكيم	الشيخ محمد رشيد رضا	ط: المنار
٦	التبسير فى قواعد علم التفسير	الإمام سليمان الكافيجى	ط : الرفاعى
٧	جامع البيان في تفسير القرآن	الإمام ابن جرير الطبري	دار المعرفة – ودار المعارف
٨	الجامع لأحكام القرآن	الإمام أبو عبدالله القرطبي	ط: دار التراث العربي
٩	الدر المنثور في التفسير المأثور	الإمام جلال الدين السيوطي	ط : دار الكتب العلمية
١٠	روح المعاني في تفسير القرآن	الإمام شهاب الدين الآلوسي	ط : الأميرية
١١	القراءات المتواترة	الشيخ محمد كريم راجح	ط : دارالمهاجر
١٢	لسان العرب	لابن منظور	ط: دار المعارف
١٣	المعجم الوسيط	لجنة من العلماء	دار المعارف
١٤	المفردات في غريب القرآن	الإمام الراغب الأصبهاني	ط : دار القلم .
١٥	مقدمة في أصول التفسير	الإمام ابن تيمية	ط : دار الصحابة